

## "مؤتمر مركز أبحاث الأمن القومي بإسرائيل"

د. طارق فهمي\*

على مدار يومين متتاليين نظّم مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، التابع لجامعة تل أبيب، مؤتمراً استراتيجياً، في الفترة من ١٥-١٦ ديسمبر ٢٠١٤، شارك فيه كبار القادة في إسرائيل، وفي مقدمتهم وزير الأمن موشيه يعالون، وخلال المؤتمر، تمّت مناقشة التهديدات والتحديات التي تواجهها إسرائيل من جميع الجهات. وبطبيعة الحال، دار النقاش أيضاً حول العلاقات الإسرائيلية مع مصر والأردن بالإضافة لدول الخليج وفي مقدمتها السعودية<sup>١</sup>.

### يمكن تلخيص أهم ما جاء في المؤتمر فيما يلي:

أشار الباحث في المركز، يوئيل غوجانسكي، في معرض تلخيصه للمؤتمر الذي يُنظّم للسنة الثامنة على التوالي إلى مايلي:

- ١- إنّه في منطقة الشرق الأوسط يوجد لاعبين أساسيين، مثل دول الخليج في مقدمتهم السعودية، مُشيراً إلى أنّ العلاقة بين إسرائيل وبين هذه الدول في مرحلة البناء. وتابع قائلاً، في تلخيص المؤتمر إنّ الأحلاف تتشكّل ومن ثم تنحلّ، وهناك دول تفتت وتمزق إلى اثنيات مختلفة، ونحن بدورنا، نُنشد الحكومة الإسرائيلية القادمة أن تقوم بفحص المبادرة العربية، موضحاً أنّه لا يتحتّم على تل أبيب قبولها، ولكن عليها أن تُجري المفاوضات على أساسها، بحسب تعبيره.
- ٢- إن هناك تطوراً دراماتيكياً في قوة حماس، إذ ارتفع إلى حد كبير معدل إنتاج الوسائل القتالية والقذائف ذات المدى المتوسط من طراز (M75)، بالإضافة إلى وسائل قتالية مماثلة يمتلكها الجهاد الإسلامي، وتستطيع تلك القذائف الوصول من الشمال إلى منطقة "غوش دان".
- ٣- أصبحت حماس على قناعة بخطورة الأسلحة التي تمتلكها على امن إسرائيل، وان صدى امتلاك العدو لتلك الأسلحة يلقي دويّاً لدى وسائل الإعلام المختلفة، وهو ما يؤكد أن المواجهة المرتقبة بين

\* رئيس وحدة الدراسات الإسرائيلية بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط.

1 <http://www.inss.org.il/index.aspx?id=٤٨٠&eventid>

إسرائيل وتلك التنظيمات، ستكون مغايرة لما كان عليه الحال في الماضي، إذ تتواجد حول إسرائيل المئات من القذائف المتناثرة في كل مكان".

٤- لا يزال سكان الضفة يتذكرون معاناتهم المعيشية خلال اندلاع الانتفاضة الثانية، فلم ينسوا نقص الطاقة والدبابات الإسرائيلية وهي تتحرك بأسلحتها وسط الأسواق، فالجيل الجديد لا يرغب في عودة هذا المشهد مجدداً، خاصة أن الاقتصاد في الضفة مستقر في الوقت الراهن نسبياً بشكل أفضل من الحال التي كان عليها في السابق.

٥- أن أجهزة إسرائيل الأمنية، خاصة الاستخباراتية منها، تسعى إلى تنوع قرون استشعارها. رغم تلك الاستعدادات، إلا إنني وغيري نعيش في منطقة الشرق الأوسط، ولا أنسى الـ "بوعيزي"، بائع الخضروات التونسي، الذي أضرم النار في نفسه، احتجاجاً على نظامه الحاكم، فأشعل موسم "الربيع العربي"، فيجب أن تستعد إسرائيل لكل شيء غير متوقع، من الممكن أن يفرض نفسه عليها وعلى الجميع من دون سابق إنذار، ويؤدي إلى إضرام النار في كل شيء".

٦- إن التقديرات الإسرائيلية لا تستبعد الاتحاد بين جماعات الجهاد العالمي، والعمل تحت سقف أي تنظيم كالقاعدة مثلاً في سيناء، وهو ما سيُجبر مصر على توسيع نطاق عملياتها العسكرية في شبه الجزيرة لتطول قطاع غزة.

٧- أن تطوراً هائلاً في معركة مصر ضد الإرهاب، والحرب في سوريا أعادت العناصر المسلحة إلى حيث أتت سواء من مصر أو من الأردن، وسوف يؤثر ذلك على المشهد إلى حد كبير، فهناك ميل للحديث عن سيناء، وهذا صحيح بسبب الإضرار التي قد تنعكس على إسرائيل من الخطر الإرهابي في شبه الجزيرة، لكن معركة الإرهاب ليست في سيناء فقط، وإنما في القاهرة ومحافظات الدلتا، فالأحداث الجارية في تلك المناطق تؤثر بشكل مباشر على الأوضاع في المنطقة الحدودية".

٨- إن السعودية ودول الخليج دعمت وستواصل دعمها لمصر سياسياً واقتصادياً، فتلك الدول تتفهم جيداً أن المساعدات الخارجية لمصر تمثل داعماً مركزياً للاستقرار، فالبيروقراطية السلطوية ما زالت تقوم بدور كبير، فلم يكن وصف مصر بأنها دولة مؤسسات عبثاً، ولعل ذلك بحسب رأي الكادر الإسرائيلي، كان سبباً في عدم ذوبان مصر أو تفكيكها بفعل التحولات العنيفة التي شهدتها

المنطقة خلال السنوات الثلاث الماضية. وما يجري في مصر حالياً حالة من انعدام الاستقرار، لكن هذه الحالة مازالت تحت السيطرة.

٩- أن الأوضاع الجارية في سوريا هي المسؤولة عن تهديد الاستقرار في الأردن، فالحرب الأهلية في سوريا التي تفرغ أبواب لبنان، هي عينها التي تُرَجِّع بمئات الألوف من اللاجئين السوريين للأردن، وتؤدي كذلك إلى فوضى أمنية عارمة "

١٠- أن الحدث الأكبر علي جبهة حزب الله ، كان ضلوع عناصر حزب الله في الحرب الدائرة بسوريا، وان ذلك لم يحدث في العام الماضي فقط وإنما كان في فترة سابقة لها، وخلال الأشهر القليلة المقبلة وربما في العام المقبل، ينصب اهتمام وحدة أبحاث الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية على متابعة الآثار المترتبة على ضلوع حزب الله في المعارك السورية، وانعكاسات هذا الضلوع على استقرار لبنان. فمن الأهمية بمكان التأكيد على أن تفكك النظام اللبناني، يكمن في التحول الإقليمي المحتمل، والذي سيكون أكثر دراماتيكية مما هو متوقع، وليس ثمة شك في أن هذا التحول وما يحمله من تفكيك للنظام اللبناني سينعكس على إسرائيل.

١١- إن المشكلة الإقليمية الأولى تكمن في غياب الأنظمة الحاكمة في المنطقة بشكل ملحوظ، وتجلت صورة ذلك في انعدام الأمن الشخصي للمواطنين، بالإضافة إلى انعدام قدرة السلطات على تزويد المواطنين باحتياجاتهم الأساسية، فضلاً عن هيمنة حالة من الغليان على الجماهير، والميل إلى استخدام العنف، واقتراب العديد من الدول إلى حافة الهاوية، ويمكن ملاحظة ذلك في دول مثل العراق وليبيا وسوريا، أو في مناطق داخل دول مثل سيناء التي تواجه السلطات المصرية فيها صعوبة في السيطرة على الإرهاب، ولا تقل هذه الصعوبة عند محاولة السلطات عينها في فرض النظام.

١٢- هناك من يدعي أن تهديد الجهاد العالمي يمكن إن يفرض نفسه في نهاية المطاف، نتيجة للاقتتال والحروب الداخلية، كما بات عليه الحال في سوريا. إلا أن هذه المفهوم قد يقلص التهديد الحاصل، إذ إن الاعتقاد في ذلك يمنح الجهاد فرصة تتماشى إلى حد كبير مع إمكانية توحيد صفوفه من جديد، وعندئذ تصبح إسرائيل أول المضارين من ذلك، وكذلك إذا حارب الجهاديون أنفسهم، فستفاجأ إسرائيل لتجد نفسها وسط هذا السجال المسلح المخيف.

١٣- لا يمكن وضع صورة واضحة المعالم للمستقبل الإقليمي المنظور، إذ إن جزءاً من دول الخليج العربي تعارض محاولات تعاضم النفوذ الإيراني، إلا أن تلك الدول تعارض كذلك محاولات النفوذ الإخوانية "نفوذ الإخوان المسلمين"، ويحمل ذلك المغزى المحوري كل أنواع الصراع، فلا يوجد مسار واحد يمكن من خلاله استيعاب ما يجري على أرض الواقع ولا شك أن إسرائيل ترى الصورة حولها ملبدة بالغيوم وغير مستقرة لدرجة كبيرة.

١٤- إن إيران تشهد حالياً صراعاً للقوى بين الرئيس روحاني ومعسكره، وبين قادة الحرس الثوري الإيراني وآيات الله المحافظين، ولن تؤثر نتائج هذا الصراع على الملف النووي فقط، وإنما ستؤثر كذلك على الإرهاب الذي تصدره طهران.

١٥- ظهرت جملة من المتغيرات السياسية والعوامل التي عززت التقارب بين السعودية وإسرائيل، وتمثلت أغلب هذه العوامل في ظهور أعداء مشتركين للدولتين أبرزهم إيران والإخوان المسلمون في مصر وحركة حماس، إضافةً إلى الفتور الذي أصاب علاقة الدولتين بالولايات المتحدة.

١٦- أنّ إسرائيل قامت بتليين سياسة تصدير الأسلحة إلى دول الخليج، بالإضافة إلى تخفيف معارضتها لتزويد واشنطن دول الخليج بالسلح، وذلك في رسالة واضحة لهذه الدول أنه بالإمكان التعاون عوضاً عن التهديد، كما أنّ إسرائيل تتمتع بحرية في بيع منتجاتها في دول الخليج، شريطة ألا يكتب عليها إنها صنّعت في إسرائيل. جدير بالذكر أنّ التعاون الاقتصادي بين السعودية وإسرائيل ليس جديداً رغم قلّة المعلومات المتوفرة بشأنه، ويمتد إلى عام ٢٠٠٥ عندما أعلنت المملكة رفع الحظر عن المنتجات الإسرائيلية، علّ ذلك يشفع لقبولها في منظمة التجارة العالمية.

١٧- على الرغم من شهر العسل الذي تمرّ فيه العلاقات المصرية-الإسرائيلية، وتحديداً في مجال التنسيق الأمني، إلا أنّ إسرائيل لا ترى بعين الرضا المساعي المصرية الحثيثة للتسلّح بأحدث الوسائل القتالية من روسيا ومن فرنسا، لأنّ الأمر يُقلل إلى الحد الأدنى تعلق المصريين بالمساعدات وبالمعونات التي تتلقاها القاهرة من الولايات المتحدة الأمريكية. وأشار إلى صفقة الأسلحة التي تمّ إبرامها بين باريس والقاهرة، والتي تصل تكلفتها إلى ٥,٢ مليار يورو، أي ما يُعادل ٥,٩ مليار دولار، تقوم فيها فرنسا بتزويد مصر بمقاتلات حربية حديثه من طراز Rafale.

١٨- أنّ الصفقة تفتح الأبواب على مصراعها أمام التدخّل الفرنسيّ في مجريات الأمور في منطقة الشرق الأوسط، كما أنّ الصفقة، تمنح فرنسا الإمكانية لتوسيع سوق بيع أسلحتها، خصوصًا في دول الخليج العربيّ، إذ أنّ قطر والإمارات العربيّة المتحدّة تُعتبران من الدول التي تفاوضهما باريس لعقد صفقات أسلحة معهما.

١٩- أمّا بالنسبة لمصر، فإنّ معنى الصفقة هو سياسيّ بامتياز، ذلك أنّ القاهرة ومنذ التوقيع على اتفاق السلام مع إسرائيل (كامب ديفيد) تلقت معونة أمريكيّة سنويّة بقيمة ١,٣ مليار دولار، كما حصلت على أسلحة أمريكيّة، كما أنّ جميع الوسائل القتاليّة المصريّة في الثلاثين عامًا الماضية تمّ شراؤها من أمريكا، ولكن مع بدء التحولات الأخيرة في مصر، في العام ٢٠١١، وقع الخلاف بين القاهرة وواشنطن وانهارت عمليًا الثقة المتبادلة بينهما، وخصوصًا بعد أن قامت أمريكا بتجميد قسم من المعونة الأمريكيّة لمصر.

٢٠- أنه من غير المعقول أنّ تتنازل مصر عن علاقاتها التاريخيّة مع الولايات المتحدّة، ذلك أنّ السواد الأعظم من الأسلحة التي يمتلكها الجيش المصريّ هو من صناعة أمريكيّة، كما أنّ القاهرة ليست معنية وغير قادرة على التنازل عن المعونات العسكريّة الأمريكيّة. ولكن بموازاة ذلك، أعرب المشاركون عن تأكيدهم على أنّ صفقة الأسلحة المصريّة-الفرنسيّة الأخيرة تُعبّر عن إصرار الرئيس عبد الفتّاح السيسي، بتقوية الجيش المصريّ وباقي الأجهزة الأمنيّة المصريّة، على الرغم من الأزمة الاقتصادية التي تعيشها بلاد النيل، وذلك بهدف محاربة التنظيمات الإسلاميّة الإرهابيّة، التي تعمل وبشكلٍ خاصٍ في شبه جزيرة سيناء، وبناءً على ذلك، فإنّ الولايات المتحدّة هي الدولة الوحيدة التي بإمكانها منح مصر الأسلحة التي ترغب بها لمحاربة الإرهاب المتفشّي في سيناء وبالتالي فإنّ صفقات الأسلحة المصريّة مع كلّ من روسيا وفرنسا هي بمثابة رسالة سياسيّة واضحة إلى الولايات المتحدّة مفادها أنّ القاهرة ليست متعلّقةً بها لوحدها، حسبما قالت الدراسة.

٢١- أنّ إسرائيل معنية بأن تكون مصر متعلّقة جدًا بأمريكا، وبالتالي فإنّ تخفيض تعلق القاهرة بواشنطن له مدلولات سلبية جدًا على تل أبيب. علاوة على ذلك، أوضحت الدراسة أنّ صفقات الأسلحة التي تقوم مصر بإبرامها مع موسكو وباريس تزيد من تعلق مصر بدول الخليج العربيّ، إذ أنّ نظام الرئيس المصريّ السيسي، مدين للمملكة العربيّة السعوديّة، والإمارات العربيّة المتحدّة

والكويت، لأنّ هذه الدول قامت بتقديم المعونات الاقتصادية لمصر وبالتالي فإنّ تمويل صفقات الأسلحة المصريّة من قبل دول الخليج سيجعل مصر دولةً تابعةً بالمطلق لدول الخليج المذكورة.

٢٢- أنّ الدول الخليجيّة تحتاج كثيرًا إلى موقع مصر الدولي وإلى موقفها من إيران ومُحاربتها للتنظيمات الإسلاميّة المتشدّدة.

٢٣- تكاد تتقارب المصالح الإسرائيليّة، المصريّة ومصالح دول الخليج فيما يتعلّق بالتهديد الإيراني وبمحاربة الإسلام المتطرّف، فمن غير المتوقّع بتاتًا أن تُمسّ المصالح الحيويّة التكتيكيّة والاستراتيجية لإسرائيل عقب تخفيف تعلّق مصر بالولايات المتحدّة الأمريكيّة، مع ذلك يجب التذكّر والتذكير أنّ هذه الخطوات تمنح مصر مزيدًا من الحرّيّة والاستقلاليّة في سياستها الخارجيّة، أيضًا في كلّ ما يتعلّق بعلاقتها مع إسرائيل.